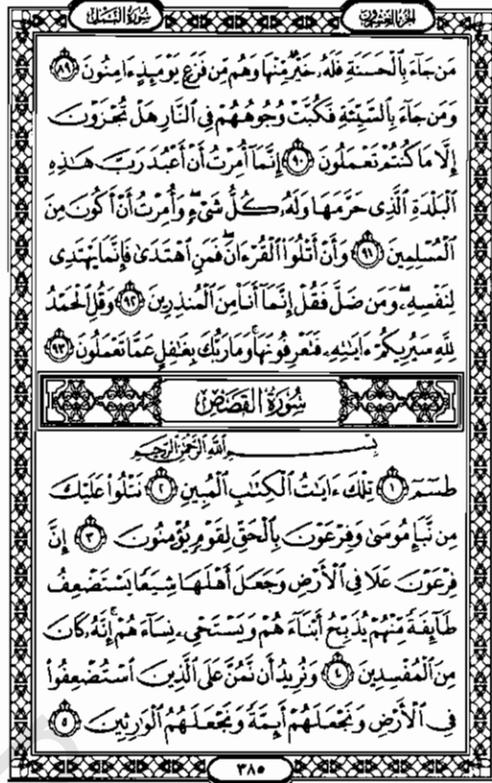


## معاني الكلمات

- كبت وجوههم : أبقوا في النار منكسين .  
 هذه البلدة : مكة المكرمة .  
 شيعاً : فرقاً وأصنافاً .  
 يستحى نساءهم : يستبقى بناهم للخدمة .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر الداعية بأن نصر الله للمؤمنين قريب ، وإن إهلاكه - عز وجل - للظالمين واقع لا محالة .
- ٢ - أن يعلم المؤمن جوانب من طغيان فرعون وظلمه .
- ٣ - أن يسعى المؤمن في الأرض عابداً لله غير هيباً من الظالمين .

## المحتوى التربوي :

تأتي الآيات لتوضح نتيجة الطاعة والعبادة ، ولتقرير العدل الإلهي الذي لا ميل فيها ولا محاباة ، في أن من يعمل صالحاً في الدنيا فجزاء الله عليه واقع بجزاء في الجنة وهو خالد فيها ، ويؤمن من الفرع جزاء ورحمة من ربهم لأوليائه وعباده ، والأمن من الفرع هو وحده جزاء ، وما بعده فضل من الله ومنة ، ولقد خافوا الله في الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفرع الآخرة ، بل أمنهم يوم يفرغ من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ، وأن من أعرض عن ذكره ، فيكذب على وجهه في النار بمجمع الحواس ، فالجزء من جنس العمل .

وقال الفخر الرازي : « اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين المبدأ والمعاد والنبوة ، ومقدمات القيامة وصفة أهل القيامة من الثواب والعقاب - وذلك كمال ما يتعلق ببيان أصول الدين ختم الكلام بهذه الخاتمة اللطيفة فقال : قل يا محمد إني أمرت بأشياء :

الأول : إني أمرت أن أحص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا ، وأن الله - تعالى - لما قدم دلائل التوحيد ، فكأنه أمر محمداً بأن يقول لهم هذه الدلائل التي ذكرتها لكم إن لم تفد لكم القول بالتوحيد ، فقد أفادت لي ذلك فسواء قبلتم هذه الدعوة أو أعرضتم عنها ؛ فإنني مصر عليها غير مرتاب فيها .

ثم إنه وصف الله تعالى بأمرين : أحدهما : إنه رب هذه البلدة ، والمراد مكة ، وإنما اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها ؛ لأنها أحب بلاد الله إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه .

ويلخص الرسول ﷺ دعوته ومنهجه في الدعوة ، وهو في خطابه لمشركي مكة يذكرهم تبعة الله عليهم بأن تلك البلدة صارت بلدة حراماً ، وهم يستمدون سيادتهم على العرب من عقيدة تحريم البيت ، ثم لا يوحدون الله الذي حرمه ، وأقام حياتهم كلها عليه ويقول صاحب الظلال : « فالرسول ﷺ يُقَوِّمُ العقيدة كما ينبغي أن تُقَوِّمَ ، فيعلن أنه مأمور أن يعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ، لا شريك له ، ويكمل التصور الإسلامي للألوهية الواحدة ، فرب هذه البلدة هو رب كل شيء ، ويعلن أنه مأمور بأن يكون من المسلمين الموحدين لله » .

وعند خطاب الكفار لا بد من وسيلة وهو القرآن ، وهو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها كذلك ، وقد أمر أنه يجاهد به الكفار وهو هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين الذين اهتدوا به ، ولكن من ضل وزاغ ، واتخذ القرآن مهجوراً ، فقد أورد نفسه موارد التهلكة ؛ وفي ذلك تأكيد لمعنى فردية الله .

يظهر في الآيات فردية التبعة في ميزان الله فيها يختص بالهدى والضلال فمن آمن فلنفسه ، ومن ضل فعليها ، وفي فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان التي يضمنها الإسلام ..

وكان ختام السورة يناسب موضوعاتها في حمد الله على نعمته في الكون التي آمن بها المهتدون ، وكفر بها الطاغون ، وسيرون في القيامة جزاء إنكارهم وجحودهم ؛ لأن الله لا يغفل ظلم الظالمين ؛ ولا يصلح عمل المفسدين .

## سورة القصص

تبدأ السورة بهذه الأحرف للتنبية إلى أنه من مثلها تتألف آيات الكتاب المين ، البعيدة الرتبة ، المتباعدة المدى بالقياس لما يتألف عادة من هذه الأحرف في لغة البشر الفانين ، فهذا الكتاب ليس إذن من عمل البشر وهم لا يستطيعونه ، إنما هو الوحي الذي يتلوه الله على عبده ، ويبدو فيه إعجاز صنعته ، كما يبدو فيه طابع الحق المميز لهذه الصنعة في الكبير والصغير .

وإلى القوم المؤمنين يوجه هذا الكتاب ، يريهم به وينشئهم ويرسم لهم المنهاج ، ويشق لهم الطريق ، وهذه التلاوة المباشرة من الله ، تلقى ظلال العناية والاهتمام بالمؤمنين ، والله ذو الجلال يتلو على رسوله الكتاب من أجلهم .

ثم ينتقل السياق القرآني لقصة موسى مع فرعون وما فيها من إيماءات للرسول محمد ﷺ ؛ لتذكر قصة طغيان فرعون ، واستعلائه ، واضطهاد بنى إسرائيل وتعذيبهم - بذبح أطفالهم ، واستبقاء نسائهم للخدمة فكان يقتل أبناءهم ؛ لأنه أحسن أن هناك خطرًا على عرشه وملكه ، ولكن الله يريد غير ما يريد الطاغية ، ولأن الطغاة البغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم ، وينسون إرادة الله وتقديره ، ويمسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ، ويختارون لأعدائهم ما يشاؤون ، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون .

والله يعلن إرادته هو ، ويكشف عن تقديره هو ، فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير ، هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد ، وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيدًا ولا تابعين ، وأن يورثهم الأرض المباركة .

يقول صاحب الظلال : « لقد كانت قصة موسى ﷺ تبدأ غالبًا في السور الأخرى من حلقة الرسالة - لا من حلقة الميلاد - حيث يقف الإييان القوى في وجه الطغيان الباغى ، ثم ينتصر الإييان وينخذل الطغيان في النهاية ، فأما هنا فليس هذا المعنى هو المقصود ، إنما المقصود أن الشر حين يتمحض يحمل سبب هلاكه في ذاته ، والبغى حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر ، بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم » .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبويًا :

١ - الجزء من جنس العمل ، وعلى المؤمن إخلاص العمل لله .

٢ - تلاوة القرآن ومدارسته وتدبره والعمل به .

٣ - الإييان بفضل الله ورحمته للمؤمنين ، وإن تكالب عليهم الظالمون .



الكرم والفضل بأن هذا الولد سيرد إليها سيكون نبيا مرسلا من قبل الله ، تلك بشارة الغد ، ووعده الله أصدق القائلين .

ويسمى العلماء اللام في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ لام العاقبة ؛ لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ، بل أرادوا أن يكون ولدا لهم ، ولكن نظر إلى المصير الذي أصبحوا عليه في آخر الأمر .

وجاءت القدرة الإلهية تبطل كيد فرعون ، فهم التقطوا موسى ، ليكون ولدا لهم لكن مشيئة الله قضت أن يكون موسى سببا في إهلاك فرعون وقومه ؛ لأنهم كانوا أقواما يكفرون بالله ، وكانت الوسيلة قلب امرأة فرعون ، فكان موسى والتقاطه رحمة للمرأة - زوجة فرعون المؤمنة في اتخاذها ولدا ونفعه لها وللمؤمنين جميعا ؛ لأنها كانت امرأة تكتم إيمانها .

لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته ، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه ، لقد حمته بالمحبة ، ذلك الستار الرقيق الشفيف ، لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال ، حمته بالحب الحاني في قلب امرأة ، وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره ، وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف .

والقدرة تتحدى ، تتحدى بطريقة سافرة مكشوفة ، تتحدى فرعون وهامان وجنودهما ، إنهم ليتبعون الذكور من مواليد قوم موسى خوفا على ملكهم وعرشهم وذواتهم ، ويثبون العيون والأرصاد على قوم موسى كي لا يفلت منهم طفل ذكر .. فما هي ذى يد القدرة تلقى في أيديهم بلا بحث ولا كد بطفل ذكر ، وأي طفل ؟ إنه الطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين ! ها هي ذى تلقيه في أيديهم مجردا من كل قوة ومن كل حيلة ، عاجزا عن أن يدفع عن نفسه أو حتى يستنجد ! ها هي ذى تقتحم به على فرعون حصته وهو الطاغية السفاح المتجبر ، ولا تتبعه في البحث عنه في بيوت بنى إسرائيل ، وفي أحضان نسائهم الوالدات !

وتتلاحم معاني القدرة الربانية وشعور الأمومة ، والثقة بالله في لفة أم موسى على ولدها وكادت أن تصرح بما حدث ، لقد سمعت الإيحاء ، وألقت بطفلها إلى الماء ، ولكن أين هو يا ترى وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها : كيف ؟ كيف أمنت على فلذة كبدى أن أقذف بها في اليم ؟ كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أم ؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة ؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب ؟

والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية : « فارغًا » ... لا عقل فيه ولا وعى ولا قدرة على نظر أو تصريف !

ولكن القدرة الربانية والثقة بالله تظهر في تثبيت قلبها ، ولتيقنها من وعد الله أمرت ابتها بأن تتبع أثره ، وتعرف خبره ، فوجدته بين أيدي خدم فرعون ، وهو يرفض أى ثدى لإرضاعه ،

فتخبرهم أنها تعرف بيتا يرضع الطفل لهم؛ لأن القدرة التي تعرف تدبر أمره ، وتكيد به لفرعون وآله .

إن القدرة التي ترعاه تدبر أمره ، وتكيد به لفرعون وآله ؛ فتجعلهم يلتقطونه ، وتجعلهم يحبونه ، وتجعلهم يبحثون له عن ظئر ترضعه ، وتحرم عليه المراضع ، لتدعهم يختارون به ؛ وهو يرفض الثدي كلما عرضت عليه ، وهم يخشون عليه الموت أو الذبول ! حتى تبصر به أخته من بعيد ، فتعرفه وتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم على مريض ، فتقول لهم ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِي يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴾ فيتلقفون كلماتها ، وهم يستبشرون ، يودون لو تصدق فينجو الطفل العزيز المحبوب !

ويتهيء المشهد الرابع ، فنجدنا أمام المشهد الخامس والأخير في هذه الحلقة ، وقد عاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة ، معافى في بدنه ، مرموقاً في مكانته ، يحميه فرعون ، وترعاه امرأته ، وتضطرب المخاوف من حوله وهو آمن قريح .

إن أعلى مراتب الإيمان أن يؤمن المسلم بوعد الله ، فقال الله لأم موسى : ﴿ إِنَّا رَأَوُهَا ﴾ ، ثم كان قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ ﴾ ، وقرت عينها بولدها في حاضرها ، وطوت صفحة الحزن في ماضيها ، ولتثق ببقية البشارة أن هذا الولد سيثب ويكبر ، ويكون نبيا مرسلًا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيجحدون وينكرون ولا يستحقون نزول رحمت الله لهم .

يقول صاحب الأساس : « نلاحظ من سياق القصة أن الله - عز وجل - إذا أراد إنقاذ أمة هيأ لها المنفذ ، ومن ثم فإن وجود الرسول ، أو المجدد ، أو الوارث ، أو الخليفة ، أو القائد ، له دوره الكامل في نقل الأمة من حال إلى حال ، كما نلاحظ أن الله - عز وجل - إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه ، وأن كل معاندة مهما كان شأنها لا يمكن أن تخدم إلا مراد الله ... وفي هذه السورة دروس كثيرة لهذه الأمة في التعريف على أهمية القيادة ، وفي الاطمئنان إلى فعل الله بعباده المؤمنين ، وفي التدليل على صحة الإلهام ، وفي ضرورة التوكل مع الأخذ بالأسباب ، وغير ذلك من الدروس » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١- السعى في إخلاص العبادة لله ، والسعى في الدعوة إلى الله مع التيقن من معية الله للمؤمنين .

٢- وجوب اتخاذ الحذر في كل أمر مع الإيمان بقضاء الله .

٣- تقدير عاطفة الأمومة والعمل إزاء ذلك من بر الأمهات وإكرامهن .

معاني الكلمات :

أشده : قوة بدنه .

شيعته : بنو إسرائيل .

وكزه : ضربه في صدره بمجمع كفه .

ظهيرا : معينا .

يتوقع : يتوقع .

غوى مبين : واضح الضلال .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يستشعر المؤمن قيمة اللجوء إلى الله والتضرع إليه .
- ٢ - أن يعلم الداعية جوانب من قصة موسى عليه السلام والمعية الربانية له .
- ٣ - أن يداوم المؤمن على الاستغفار واللجوء والتضرع إلى الله .

المحتوى التربوي :

ويأتى السياق القرآني في الحديث عن نضوج موسى وبلوغ القوة في الجسم والعقل ، واستحقاق اصطفاء الله له ، واختياره له بإتيانه حكما وعلما ، وختم الآية يشي بأنه أحسن فأحسن الله إليه بالحكمة والعلم ، ودخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان ، أحدهما قبطي قال : إنه من حاشية فرعون ، ويقال : إنه طباخ بالقصر ، والآخر إسرائيلي ، فاستغاث الإسرائيلي بموسى مستنجداً به على عدوهما القبطي ، وهذا لا يقع إلا إذا كان الإسرائيلي على ثقة من أن موسى لم يعد متصلاً بالقصر ، وأنه قد عرف أنه من بنى إسرائيل ، وأنه ناقد على الملك والحاشية ، منتصر لقومه المضطهدين ، وكانت عنده حمية المؤمن عندما يرى الظلم فتحركت هذه الحمية

فوكز المصرى ففضى عليه ، وهو لم يقصد ذلك فأرجع الغواية للشيطان، واستغفر ربه، وكانت الاستجابة الربانية لدعاء المحسنين .

يقول صاحب الظلال : « وكأنها أحس موسى بقلبه المرهف وحسه المتوفز في حرارة توجهه إلى ربه ، أن ربه غفر له ، والقلب المؤمن يحس بالاتصال والاستجابة للدعاء فور الدعاء ، حين يصل إرهافه وحساسيته إلى ذلك المستوى ، فيادر بشكر النعمة علمًا بأنه لن يكون معينا للظالمين حتى لو كان تحت تأثير الغيظ ، ومرارة الظلم والبغي » .

من المشهد السابق نرى صفات للداعية إلى الله يجب أن تكون حتى يمضى في دعوته منها؛ نفوره من الظلم والمنكر، وإرجاعه كل عمل سوء إلى الشيطان الذى يغوى بنى آدم ، ثم الإقرار بالذنب والاعتراف به ، ثم المبادرة بالاستغفار إلى الله ، والإخلاص فيه بإعلان تبرئه من سلوك الظالمين وعدم السير في ركابهم .

تبدو في شخصية نبي الله موسى ﷺ السمة الانفعالية ، فكان في حالة قلق يتوقع الشر ويتوجسه ، والشخص الذى استصرخه قبل ذلك استصرخه مرة أخرى في اليوم التالى ، فلم يتمالك موسى ﷺ نفسه عندما رأى الظلم فاشيا ، وهذا التجاوز في الغضب يقع عند شيوع الطغيان .

ويقول صاحب الظلال : « وإنه ليقع حينما يشتد الظلم ، ويفسد المجتمع ، وتختل الموازين ، ويخيم الظلام أن تضيق النفس الطيبة بالظلم الذى يشكل الأوضاع والقوانين والعرف ، ويفسد الفطرة العامة ، حتى ليرى الناس الظلم فلا يثورون عليه ، ويرون البغي ، فلا تجيش نفوسهم لدفعه ، بل يقع أن يصل فساد الفطرة إلى حد إنكار الناس على المظلوم أن يدفع عن نفسه ، ويقاوم ، ويسمون من يدفع عن نفسه أو غيره « جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ » كما قال القبطى لموسى ؛ ذلك أنهم ألفوا رؤية الطغيان يبطش وهم لا يتحركون ؛ حتى وهموا أن هذا هو الأصل ، وأن هذا هو الفضل ، وأن هذا هو الأدب ، وأن هذا هو الخلق : وأن هذا هو الصلاح فإذا رأوا مظلوما يدفع الظلم عن نفسه ، فيحطم السياج الذى أقامه الطغيان لحماية الأوضاع التى يقوم عليها ، إذا رأوا مظلوما يهب لتحطيم ذلك السياج المصطنع الباطل ولولوا ودهشوا ، وسموا هذا المظلوم الذى يدفع الظلم سفاكا أو جبارا ، وصبوا عليه لومهم ونقمتهم ، ولم ينل الظالم الطاغى من نقمتهم ولوهمهم إلا القليل » .

ولقد طال الظلم بنى إسرائيل ، فضاقت به نفس موسى ﷺ حتى رأيناه يندفع في المرة الأولى ويندم ، ثم يندفع في المرة الثانية لما ندم عليه حتى ليكاد يفعله ، وبهم أن أن يبطش بالذى هو عدوله ولقومه .

لذلك لم يتخل الله عنه بل رعاه واستجاب له ، فإله العليم بالنفوس يعلم أن للطاقة البشرية حدًا في الاحتمال ، وأن الظلم حين يشتد ، وتغلق أبواب النصفة ، يندفع المضطهد إلى الهجوم والاقترام .

يقول صاحب الظلال : « وهذه هي العبرة التي تستشف من طريقة التعبير القرآنية عن الحادثتين وما تلاها ، فهو لا يبرر الفعلة ، ولكنه كذلك لا يضحكها ، ولعل وصفها بأنها ظلم للنفس إنما نشأ من اندفاع موسى بدافع العصبية القومية ، وهو المختار ليكون رسول الله ، المصنوع على عين الله ، أو لعله كان لأنه استعجل الاشتباك بصنائع الطغيان ، والله يريد أن يكون الخلاص الشامل بالطريقة التي قضاها ، حيث لا تجدى تلك الاشتباكات الفردية الجانية في تغيير الأوضاع » .

ويبدو أن رائحة فاحت عن قتيل الأمس ، وأن شبهات تطايرت حول موسى ، فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطى الثانى واجهه هذا بالتهمة .

ويقول صاحب الظلال في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ : « تلهم الآية أن موسى كان قد اتخذ له في الحياة مسلكا يعرف به أنه رجل صالح مصلح ، لا يجب البغى والتجبر ، فهذا القبطى يذكره بذلك ، ويتهمه بأنه يخالف عما عرف عنه » .

ثم تحوط العناية الربانية نبي الله موسى عليه السلام بتسخير رجل مؤمن - على الراجح يحذر موسى من ترصد ملاً فرعون له ، فخرج خائفاً يدعو ربه أن ينجيه من الظالمين ، وهنا نلاحظ قوة الإيمان ، فإن الإيمان ملاً قلبه ودفعه لينصح موسى ، وقد أصبح مقصد الملاً من حاشية فرعون ، وأبى أن يكون نفى موقف الكثرة المتفرجة .

وكان موقف موسى من خروجه خوفاً من فرعون وملئه موافقا لطبيعته الانفعالية ، وتلمح في ذلك التوجه المباشر بالطلب إلى الله ، والتطلع إلى حمايته ورعايته والالتجاء إلى حماه في المخافة ، وترقب الأمن عنده والنجاة : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - الحكمة والعلم معيار للتفاضل بين الأشخاص ، وأن من أوتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً .

٢ - مواجهة المحن والشدائد بالاستغفار لله .

٣ - الشجاعة في مواجهة الظلم والمنكر .

## معاني الكلمات :

ورد : أتباء

تذودان : تكفان أغنامهما ، وتمنعانها من الماء .

يصدر الرعاء : ينصرف الرعاة .

حجج : سنين .

أشق : أصعب .

وكيل : شاهد .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الحياء والعفة .
- ٢ - أن يعلم المؤمن جوانب من العظات من قصة موسى مع شيخ مدين وابتيه .
- ٣ - أن يسلك المؤمن سبل العفة في كل أعماله وأقواله .

## المحتوى التربوي :

ولا يزال الدعاء والتضرع سلاح موسى عليه السلام وقد خرج خائفًا في الطرق الصحراوية ، في اتجاه مدين في جنوبي الشام وشمال الحجاز ، مسافات شاسعة ، وأبعاد مترامية ، لا زاد ولا استعداد ، فقد خرج من المدينة خائفًا يترقب ، وخرج منزعًا بنذارة الرجل الناصح ، لم يتلبث ، ولم يتزود ، ولم ولم يتخذ دليلا ، ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه مستسلمة له ، متطلعة إلى هداه ، ترجوه أن يهديها طريق النجاة .

لقد انتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين ، وصل إليه وهو مجهود مكثود ، وإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة ، السليمة الفطرة ، كنفس موسى عليه السلام وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء ؛ ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود

الماء ، والأولى عند ذوى المروءة والفطرة السليمة ، أن تسقى المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً ، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما .

ولم يقعد موسى الهارب المطارد ، المسافر المكدود ، ليستريح ، وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف المنكر المخالف للمعروف ، بل تقدم للمرأتين يسألها عن أمرهما الغريب :

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقَى حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ ٢٠ ۝ ﴾

فأطلعتها على سبب انزوائها وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود ، إنه الضعف ، فهما امرأتان وهؤلاء الرعاة رجال ، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعى ومجالدة الرجال ! وثارت نخوة موسى ﷺ وفطرته السليمة ، فتقدم لإقرار الأمر في نصابه ، تقدم ليسقى للمرأتين أولاً ، كما ينبغي أن يفعل الرجال ذوو الشهامة ، وهو غريب في أرض لا يعرفها ، ولا سند له فيها ولا ظهير ، وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد ، وهو مطارد ، من خلفه أعداء لا يرحمون ، ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعى المروءة والنجدة والمعروف ، وإقرار الحق الطبيعى الذى نعرفه النفوس : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ۝ ٢١ ۝ ﴾

عما يشهد بنبل هذه النفس التى صنعت على عين الله ، كما يشى بقوته التى ترهب حتى وهو إعياء السفر الطويل ، ولعلها قوة نفسه التى أوقعت في قلوب الرعاة رهبة أكثر من قوة جسمه ، فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب ، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ۝ ٢٢ ۝ ﴾

عما يشير إلى أن الأوان كان أوان قيظ وحر ، وأن السفارة كانت في ذلك القيظ والحر .

يقول صاحب الظلال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ ٢٣ ۝ ﴾ إنه يأوى إلى الظل المادى اللبيل بجسمه ، يأوى إلى الظل العريض الممدود ، ظل الله الكريم المنان بروحه وقلبه ، رب إنى فى الهاجرة ، رب إنى فقير ، رب إنى وحيد ، رب إنى إلى فضلك ومنك وكرسك فقير محوج ، ونسمع من خلال التعبير رفرقة هذا القلب والتجاء إلى الحمى الآمن والركن الركين ، والظل الظليل نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحى ، والانعطاف الرفيق ، والاتصال العميق .

واستمعت السماء للقلب الضارع الباكى ، وجاء فرج الله وغوثه بدعوة الشيخ الكبير ؛ ليأجره ثم تزوج ابنته وعمل عنده عشر سنوات ، وهذا المشهد على وجازته يشى بمعانٍ عميقة :

- خجل الفتاة وحياؤها ، ودعوة نبي الله موسى فى أقصر لفظ وأقل ، فالفتاة القويمة تستحى بنظرها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكن لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب ، الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج إنما تحدث فى وضوح بالقدر المطلوب ، ولا تزيد .

- إن حاجة الإنسان إلى الأمن قد تكون أشد من حاجة الجسم إلى الزاد ، فكانت كلمة ﴿لَا تَخَفْ﴾ مبعث الطمأنينة والأمان .

- ثم رؤية الأنوثة المستقيمة السليمة للرجال في طلبها من أبيها أن يستأجره ؛ حتى تظل عفيفة مستورة عن مزاحمة الرجال ، وكانت معايير اختيار الرجال الصالحين وهي القوة والأمانة ، والقوة من إفساح الرجال له وهو غريب ، والغريب ضعيف مهما اشتد ، والأمانة من عفة لسانه ونظره حين توجهت لدعوته .

- واستجابة الشيخ لابنته يشى بحسن التربية ، وإحساسه بأن بينها ميلا فطريا سلبيا يصلح لبناء أسرة سليمة ، والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة .

- في عرض الرجل الصالح ابنته الصالحة على الرجل الصالح هدما لما يحدث في المجتمعات التي تنتكب طريق الفطرة السليمة عندما يأبى الأب أن يعرض ابنته على الرجل الصالح ، ويُسمح للفتاة والفتى بالاختلاط والتحدث ، ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله ﷺ .

- في العقد الذي عرضه الشيخ الكبير على موسى بيان وعبرة لما يجب أن تكون مواضع العقد وشروط التعاقد فلا غموض ولا التواء ، وكان التساهل من طرف الشيخ في قوله : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾ ، وكان حسن الوفاء والقضاء كما جاء عن رسول الله : ﴿ قضي أكثرهما وأطيبيهما ﴾ .

- لم يشهد على هذا العقد أحد من الناس وكل منها قدم ما يضمن حق الآخر ، فقال الشيخ الكبير : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، وقال موسى ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ .

وما زلنا نلمح المعية الربانية التي تكتنف موسى ﷺ بأن نجاه ربه من القوم الظالمين ، وسار إلى القوم الصالحين ، وتزوج وعمل وأمن معهم .

وقال صاحب الظلال : ﴿ وهكذا اطمأن بموسى ﷺ المقام في بيت حميه ، وقد أمن من فرعون وكيده ، ولحكمة مقدره في علم الله كان هذا ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - مساعدة الضعفاء في المجتمع .

٢ - أن يكون الحياء خلق المؤمنين والمؤمنات .

٣ - الوضوح وعدم الغموض في العقود بين المؤمنين ، والوفاء بها .

## معاني الكلمات :

- الأجل : المدة .  
 أنس : أبصر بوضوح .  
 جذوة من النار : عود فيه نار .  
 جان : نوع من الحيات .  
 مدبرا : انصرف هاربا .  
 لم يعقب : لم يلتفت .  
 ردها : عونا .  
 سنشد عضدك : سنقويك ونعينك .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة التكليف الرباني والتسعة فيه .
- ٢ - أن يعلم المؤمن جوانب من شأن الرسالة التي كلف بها موسى عليه السلام .
- ٣ - أن يستعين المسلم في كل أموره بالله عز وجل .

## المحتوى التربوي :

تعرض الآيات حلقة أخرى من قصة موسى وهي بعد ما قضى الأجل وعاد إلى مصر ، وفي طريق العودة تلقى التكليف بالرسالة ، ونلمح في كل ما عايشه الكليم كيف صنعه الله على عينه ، وحياته خط طويل من الرعاية والتوجيه ، ومن التلقى والتجريب قبل النداء وقبل التكليف ، فلقى تجارب عديدة الرعاية والحب والاندفاع والغربة والجوع ، عاش في حياة القصور و حياة الفقراء ، وما تخلل ذلك من تجارب صغيرة ، ومشاعر متباينة بجانب ما آتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة .

يقول صاحب الظلال : « ونقف قليلاً أمام تدير الله لموسى عليه السلام في هذه السنوات العشر ، وفي هذه الرحلة ذهاباً وجيئة ، في هذا الطريق .

لقد نقلت يد القدرة خطأ موسى عليه السلام خطوة خطوة، منذ أن كان رضيعاً في المهد حتى الحلقة، أُلقت به في اليم ليلتقطه آل فرعون ، وألقت عليه المحبة في قلب امرأته لينشأ في كنف عدوه ، ودخلت به المدينة على حين غفلة من أهلها ليقتل منهم نفساً ، وأرسلت إليه الرجل المؤمن من آل فرعون ليحذره وينصحه بالخروج منها ، وصاحبه في الطريق الصحراوي من مصر إلى مدين وهو وحيد مطارد على غير زاد ولا استعداد وجمعه بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر ، ثم ليعود بعدها فيتلقى التكليف .

هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه ، ومن التلقى والتجريب ، قبل النداء وقبل التكليف .. تجربة الرعاية والحب والتدليل ، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس ، وتجربة الندم والتحرج والاستغفار ، وتجربة الخوف والمطاردة والفرع ، وتجربة العربة والوحدة والجوع ، وتجربة الخدمة ورعى الغنم بعد حياة القصور ، وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من شتى التجرب الصغيرة ، والمشاعر المتباينة ، والخوارج والخواطر ، والادراك والمعرفة .. إلى جانب ما آتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة .

إن الرسالة تكليف ضخمة شاق متعدد الجوانب والتبعات ، يحتاج صاحبه إلى زاد ضخمة من التجارب والإدراك والمعرفة والتذوق في واقع الحياة العملية ، إلى جانب هبة الله اللدنية ، ووجهه وتوجيهه للقلب والضمير .

كل ما سبق كان تمهيداً للمهمة الكبرى والشاقة التي كلف بها ، ولأنها أشق رسالة تلقاها بشر - عدا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر ، أعتى ملوك الأرض في زمانه ، مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا كؤوس الذل حتى استمرؤوا مذاقه ، مرسل إلى قوم لهم عقيدة قويمة ، انحرفوا عنها ، مرسل لإعادة بناء أمة ، فلأول مرة يصبح بنو إسرائيل شعباً مستقلاً ، له حياة خاصة ، تحكمها رسالة ، وإنشاء الأمم عمل ضخمة شاق عسير .

يقول صاحب الظلال عن تجربة العشر سنوات : « جاءت لتفصل بين حياة القصور التي نشأ فيها موسى عليه السلام ، وحياة الجهد الشاق في الدعوة وتكالييفها العسيرة ، ولحياة القصور جو خاص ، وتقالييد خاصة مهما تكن هذه النفس من المعرفة والإدراك والشفافية ، والرسالة معاناة للجماهير من الناس فيهم الغنى والفقير ، كما أن للرسالة تكالييفها من المشقة والتجرد ، وقلوب أهل القصور - مهما تكن مستعدة للتضحية لا تصبر طويلاً على المشقة والحرمان والثقة عند معاناتها في واقع الحياة ، فشاءت القدرة أن تزج بموسى عليه السلام في مجتمع الدعاة ، وأن ينزع من حسه روح الاشمزاز من الفقر والفقراء ، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم . »

كانت رحلة العودة مرحلة جديدة فنزل عليه التكليف الرباني ، ويلمح خوف رب الأهل عليهم ، فعندما أبصر النار خاف على أهله ، وذهب ليأتى بعود فيه نار يستدفنون به ، وعندما ذهب لم يجد نارًا بل نورًا إلهيا ، كان النداء الإلهي بإثبات الألوهية ؛ لأنها أول كلمات الرسالة السماوية .

بالرغم من الخوف المسيطر على موسى عليه السلام إلا أنه أطاع أمر مولاه في إلقاء العصا ، وفي إخراج يده التي أصبحت بيضاء لامعة مشعة من غير مرض بالرغم من أنه عليه السلام كان أسمر اللون، وهاتان المعجزتان سلاحه أمام فرعون لإقناعه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴾ ﴿ يَزِيدُ فِي أَطْمَئِنَانِ مُوسَى عليه السلام بِرَبِّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُنْجٍ لِّهِ وَعَدَّهُ ، وَقَدْ قَالَهُ شَيْخٌ مَدِينٍ لَهُ الَّذِي حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ : ﴿ لَا تَخَفْ مَجُوزَاتٍ مِنَ الْقَوَائِمِ وَالظُّلَمِيِّينَ ﴾ .

وهنا يخاف موسى على الرسالة أن تقف بذنب ارتكبه موسى ، يقول ذلك لا ليعتذر ، ولا ليتقاعس ، ولا لينكص ، ولكن ليجتاط للدعوة .

ثم يستمر القصص القرآني الرائع لهذه القصة في طلب موسى من ربه أن يعينه بأخيه هارون؛ لأنه أفصح لسانا ، وهو رده له ومعين ، يقوى دعواه ، ويخلفه إن قتلوه ، وهنا نلاحظ خوف المؤمن على الدعوة ، وفضل الناصر والمعين في طريق الرسالات ، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الدعوة كانت بفردين لا بكثرة كثرة .

وهنا تأتي الاستجابة الإلهية وزيدت عليها البشارة والتطمين ، فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار ، وإنما يذهبان إليه مزودين بسلطان من الله فلن يصل إليهما الظالمون ، ولا تقف البشارة عند هذا الحد ، ولكنها الغلبة للحق ، الغلبة لآيات الله التي يجابهان بها الطغاة ، فإذا هي وحدها السلاح والقوة ، وأداة النصر والغلبة ، فالقدرة تتجلى سافرة على مسرح الحوادث ، وتؤدي دوراً مكشوفاً بلا ستار من قوى الأرض ، لتكون الغلبة بغير الأسباب التي تعارف عليها الناس في دنيا الناس ، وليقوم في النفوس ميزان جديد للقوى والقيم ، إيمان وثقة بالله ، وما بعد ذلك فعلى الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - حرص رب البيت على أهله وحده عليهم .
- ٢ - طاعة المسلم لأوامر الله ، والثقة بوعده عز وجل .
- ٣ - اعتراف الداعية بقدراته الحقيقية .
- ٤ - اللجوء والتضرع إلى الله في كل وقت .

## معاني الكلمات :

مفتري : مكذوب مخلق .

صرحاً : قصر أعظيها .

أطلع : أرى .

المقبوحين : المبعدين أو المشوهين .

بصائر للناس : شواهد صدق .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بسوء عاقبة الظلم والاستكبار .
- ٢ - أن يعلم المؤمن جزاء وعاقبة الظالمين .
- ٣ - أن يجتهد المؤمن في العبادات والدعوة إلى الله ؛ ليكون من أئمة الخير .

## المحتوى التربوي :

تعرض الآيات موقف المكذبين من فرعون وملكه ، وتعجل بالضربة القاضية لهم ، ويختصر حديث السحرة الذي ذكر في آيات أخرى ، وقالوا عن حديث موسى : سحر مخلق ، وأنهم لم يسمعوا من آباتهم هذا الأقوال ، فالمكذب هنا لا يناقش بالحجة ولا يدلي ببرهان ، وهذا تسلية للرسول ﷺ فهو نفى رد المشركين عليه ، أما موقف الداعية موسى فإنه يجيل الأمر بينه وبينهم إلى الله ، فالاختصار أولى والإعراض أكرم ، فهو رد مهذب للداعية يلمح فيه الثقة والطمأنينة إلى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل .

ويأتي رد الظالمين البعيد عن الإقناع بل رد ملوّه الادعاء والتناول والمداورة والاستكبار والصلف والتهكم فيرد عدو الله فرعون بأنه لا يعلم إلهاً غير نفسه ، وكان يعتمد على الموروثات

من نسبة الألوهية للملوك ، ثم يتظاهر الكاذب بالجد في معرفة الحقيقة والبحث عن إله موسى ، وفي خلال ذلك يلهو ويسخر ويكذب .

يتهمك فيتظاهر بأن شاك في صدق موسى ، ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقب ليصل إلى الحقيقة ، واستكبر فرعون ، واستكبر جنوده مفسدين في الأرض بغير حق ، وذلك لما توهموا عدم الرجعة إلى الله ، وأنكروا البعث والنشور .

وكان النهاية عظة وعبرة للمعتبرين ، فاليم الذي كان نجاة ومأنا لموسى كان هلاكاً لفرعون وملئه ، وهي عاقبة مشهودة معروضة للعالمين ، هذه هي عقوبة الدنيا أما عقوبة الآخرة أنهم غير منصورين بل مهانين يوم الحشر ، وتستمر العقوبات باستمرار اللفتة عليهم إلى يوم القيامة جزاء تطاولهم واستكبارهم وادعاء فرعون الألوهية .

وفي لمحة أخرى يمتاز الحياة الدنيا ، ويقف بفرعون وجنوده في مشهد عجيب .. يدعون إلى النار ، ويقودون إليها الأتباع والأنصار ، فيابساها دعوة ، ويابساها إمامة ! ، فما هي إلا الهزيمة في الدنيا ، وهي الهزيمة في الآخرة ، جزاء البغي والاستطالة ، وليست الهزيمة وحدها ، إنما هي اللعنة في هذه الأرض ، والتقيح في يوم القيامة .

يقول صاحب الظلال في تناوله للفظه « **الْمَقْبُوحِينَ** » : « ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع ، وجو التقرز والاشمزاز ، ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض وفتنة الناس بالمظهر والجاه ، والتطاول على الله وعلى عباد الله » .

والصورة المقابلة هي الدعاة إلى الله الذين يهتدى بهم من شرح صدره للإيمان ، فأعمالهم تنمو وتربو عند الله بكل نصيحة أسدرها ، وكل صدقة جارية أنفقوها ، ووراء ذلك أن أجورهم عند الله يوفيههم إياها يوم القيامة ، فهم أئمة الخير في الدنيا وهم معروفون يوم القيامة ، وينادون للدخول من أبواب الجنة .

ثم تأتي الآيات لتعرض نصيب موسى ، وهو نصيب عظيم ، وهذه عاقبة موسى وهي عاقبة كريمة ، كتاب من الله يبصر الناس كأنه بصائرهم التي بها يهتدون .

توضح الآيات أن كتب الله التي أنزلها لعباده هي طريق رشدهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، ففيها العبرة والعظة ، ويتذكر مصير الأمم السابقة التي عنت عن أمر ربها ، كما أن كتب الله هدى للفتة المؤمنة تنير لهم الطريق ، وهي لمسة الخنو على الدعاة حين يواجهون الطغاة والمعاندين .

يقول الإمام محمد أبو زهرة في المعجزة الكبرى القرآن :

« انتهى أمر فرعون بهذا الاغراق ، ولكنه لما أوشك على الغرق جاء إليه الإيمان متأخرا ، فكانت المعجزة أن الله أبقاه مثلا للآخرين وأن الله سبحانه يقول مفصلا مهلكه من غير تكرار ، وأن ذكر المقدمات مفصلا ، قال سبحانه : **﴿ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ،**

بَغِيًّا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٥﴾ ءَالْقَيْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٥٧﴾ (يونس) .

انتهى فرعون ونلاحظ هنا ثلاث ملاحظات :

أولها : أن فرعون كان دائما يذكر جنوده على أنهم الذين يوالونه في طغيانه ، وبهاثونه في عدوانه ، وينصرونه ، والشعب لا يذكر في مقام المناصرة لفرعون .

وثانيها : أن الذين آمنوا من الشعب عدد لا يكون كثرة تهمز ملك فرعون وإذا كانوا كثرة لم يذكروا مع فرعون لأنهم فريسته ، فلم ينصروا بكثرتهم دعوة موسى ، وكانوا كشأنهم فيما يتعلق بملوكهم أن خالفوا الحق نافق منهم من ينافق ، وتملق من يتملق ، والشعب وقف موقف النظارة ، ولذلك كانت الهجرة إذ قل النصير المؤيد ، وكثر العدو المناهض .

ثالثها : أن الله تعالى أجرى على يد موسى معجزات تنصل بمصر الزراعية كما ذكر في سورة الأعراف ، ولقد ذكر في السورة موسى وفرعون ، وذكرت هنا كما ذكرت في غيره العصا والسحرة ، وكررت لأنها المعجزة الكبرى التي تحدى بها ، كما كان القرآن الكريم يذكر كثيرا في القرآن لأنه المعجزة الكبرى التي جاء بها محمد ﷺ .

يقول صاحب الظلال : « وهكذا تنتهي قصة موسى وفرعون في هذه السورة شاهدة بأن الأمن لا يكون إلا في جانب الله ، وأن المخافة لا تكون إلا في البعد عن الله ، ذلك إلى تدخل يد القدرة سافرة متحدية للطغيان والبطانة ، حين تصبح القوة فتنة يعجز عن صداها الهداة .

وهي المعاني التي كانت الجماعة المسلمة الصغيرة المستضعفة في مكة في حاجة إلى الاطمئنان إليها ، وكان المشركون المستكبرون في حاجة إلى تدبرها ، وهي المعاني المتجددة الدائمة حيثما كانت دعوة إلى الهدى ، وحيثما كان طغيان يقف في وجه الهدى .

وهكذا يجيء القصص في القرآن مادة تربية للنفوس ، وتقرير لحقائق وسنن في الوجود .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - الصبر على كل ما يواجه المؤمن في طريقه .
- ٢ - أخذ العظة والعبرة من هلاك الطغاة والظالمين .
- ٣ - رد كل الأمور إلى الله الذي بيده الأمر كله .
- ٤ - الاسترشاد بهدى كتب الله عز وجل ، ووجوب مدارس القرآن وتدبره .

معانى الكلمات :

قضينا : عهدنا

جانب الغربى : المكان الذى كلم الله تعالى

فيه موسى عليه السلام .

قرونا : أما وأجيالا .

العمر : طال الفترة الزمنية بينهم وبين

رسالة موسى .

ثاوبا : مقبلا

أهواءهم : ميولهم ورغباتهم .

تظاهرا : تعاونا



### الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١- أن يشعر المؤمن بقيمة إرسال الله للرسول والأنبياء .

٢- أن يعرف المؤمن موقف الكفار من الأنبياء ووجوه التكذيب .

٣- أن يصبر المؤمن في دعوته على المعاندين .

### المحتوى التربوى :

تسوق الآيات دلائل صدق نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أن الله أعلم نبيه بقبصص الأنبياء ومنها قصة موسى عليه السلام بنزول التوراة عليه في الجانب الغربى من جبل الطور ، وقصة مكوثه في أهل مدين ، وهذه الآيات وما فيها من قبصص رحمة للمؤمنين ، ودليل إعجاز للقرآن الكريم ، وهى تخويف بالعذاب للكافرين ليروا عاقبة الظلم والعتو والصد عن سبيل الله .

ويقول صاحب الظلال : « فهى رحمة الله بالقوم ، وهى حجته كذلك عليهم ، كى لا يعتذروا بأنهم أخذوا على غرة ، وأنهم لم يندروا قبل أخذهم - وما هم فيه من جاهلية وشرك ومعصية يستوجب العذاب - فأراد الله أن يقطع حجتهم - وأن يعذر لإيهم ، وأن يقفهم أمام أنفسهم مجردين من كل عائق يعوقهم عن الإيمان » .

ورحمة الله بعباده تمثل جانباً أساسياً من تصور حقيقة الألوهية وعلاقة العباد بها ، فرحمة الله تفيض على عباده جميعاً ، وتسعهم جميعاً ، وبها يقوم وجودهم ، وتقوم حياتهم ، وهى تتجلى فى كل لحظة من لحظات الوجود أو لحظات الحياة للكائنات ، فأما فى حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتابعها فى كل مواضعها ومظاهرها .

يقول صاحب الظلال : « إن لحظة واحدة يفتح الله فيها أبواب رحمته لقلب لقلب المؤمن فيتصل به ويعرفه ، ويطمئن إليه - سبحانه - ويأمن فى كنفه ، ويستروح فى ظله .. إن لحظة واحدة من هذه اللحظات لتعجز الطاقة البشرية عن تمليها واستجلائها ، فضلاً على وصفها والتعبير عنها ..

إن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو ليسكب فى قلب المؤمن الطمأنينة إلى ربه - حتى وهو يمر بفترات الابتلاء بالضراء ، التى تزيغ فيها القلوب والأبصار - فهو يستقن أن الرحمة وراء كل لمحة ، وكل حالة ، وكل وضع ، وأن ربه لا يعرضه للابتلاء لأنه تحلى عنه ، أو طرده من رحمته ، فإن الله لا يطرد من رحمته أحداً يرجوها ، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله ويرفضون رحمته ويبعدون عنها .

وتستمر الآيات فى توضيح منهاج الدعوة للمؤمنين والتحذير من المشركين ، وكان ديدنهم أنهم عندما كانوا يستشعرون نزول المصائب ، فيلجؤون إلى الله ضارعين بأنهم سيتبعون الرسل إذا جاؤوا إليهم ، ولكن لخبث نفوسهم يكذبون ويعرضون ، وقد جاءهم الرسول محمد بالآيات واستمر العناد والصلف ، وتستمر المحاجة مطلبهم أن تكون الرسالة مثل رسالة موسى ، كان الرد عليهم أن المشركين من قبل كذبوا بموسى وأخيه ، وقالوا : إنما ساحران ، وكفروا والكفار فى عهد الرسول مثل الكفار فى أى وقت ينكرون الحق من أجل الحفاظ على مصالحهم الدنيوية ، ويعتبرون كتب الله كالنوراة والقرآن سحراً .

وهكذا لم يذعنوا للحق واستمسكوا بالتملقات الباطنة ، وقالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى من الخوارق المادية أو الألواح التى نزلت عليه جملة وفيها التوراة كاملة ، ولكنهم لم يكونوا صادقين فى حججهم ولا مخلصين فى اعتراضهم .

وتتابع الآيات بتحدى الكافرين ومحاجتهم ، بأن يأتوا بكتاب مثل القرآن والتوراة ، وهذا هو التحدى ، والمحاجة فى أنه لو أتوا بهذا الكتاب سيتبعه الرسول ، ويقول صاحب الظلال : « وهذه نهاية الإنصاف ، وغاية المطاولة بالحجة ، فمن لم يمنح إلى الحق بعد هذا فهو ذو الهوى المكابر الذى لا يستند إلى دليل . »

فى الآيات تنبيه للدعاة أن يلتزموا القرآن تدبيراً ومدارسة ، وأن يطبقوه فى حياتهم ، وأن يتحدوا به أمم الأرض ، لأنه الإعجاز المطلق من عند الله ، والزيف عن القرآن تحبط وانحراف عن طريق الحق ، وإن من ينحرف عن القرآن فقد اتبع هواه .

يقول صاحب الظلال : « إن الحق في هذا القرآن ليين ، وإن حجة هذا الدين لواضحة ، فما يتخلف عنه أحد بعلمه إلا أن يكون الهوى هو الذى يصده ، وإنها لطريقان لا ثالث لهما : إما إخلاص للحق ، وخلوص من الهوى ، وعندئذ لا بد من الإيمان والتسليم ، وإما ممارسة في الحق واتباع للهوى فهو التكذيب والشقاق ، ولا حجة من غموض في العقيدة ، أو ضعف في الحجة ، أو نقص في الدليل ، كما يدعى أصحاب الهوى المعرضون » .

فإن لم يستجيبوا للإيمان ، هكذا جزما وقطعا كلمة من الله لا راد لها ولا معقب عليها ، إن الذين لا يستجيبون لهذا الدين مغرضون غير معذورين ، متجنون لا حجة لهم ولا معذرة متبعون للهوى معرضون عن الحق الواضح .

وحيث تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة ، والمقاييس المعلومة ، والموازين المضبوطة ، وتخضع لهواها ، وتحكم شهواتها وتتبع ذاتها ، فلا تخضع لميزان ، ولا تعترف بحد ، ولا تقشع بمنطق ، متى اعترض هواها الطاغى الذى جعلت منه إلهاء يعبد ويطاع .

والله سبحانه يخاطب عبده في رفق ومودة وإيناس في أمر هذا النموذج من الناس ، ويرسم له هذه الصورة الناطقة المعبرة عن ذلك النموذج الذى لا جدوى من المنطق معه ، ولا وزن للحجة ، ولا قيمة للحقيقة ؛ ليطيب خاطره من مرارة الإخفاق في هدايته ، فهو غير قابل للهدى .

ويخطو السياق خطوة أخرى في تحقير هؤلاء الذين يتعبدون هواهم ، ويحكمون شهواتهم ، ويتكبرون للحجة والحقيقة .

وتشير الآيات لمفهوم الظلم ، ومعنى الظلم وضع الأمر في غير محله ، فالكفار ظلموا أنفسهم واتبعوا الهوى المضل ، وأعرضوا عن القرآن بما فيه من بشرى وهدى ورحمة لمن آمن بالله .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا النص ليقطع الطريق على المعتذرين بأنهم لم يفهموا عن هذا القرآن ولم يحيطوا علما بهذا الدين ، فما هو إلا أن يصل إليهم ويعرض عليهم حتى تقوم الحجة ، وينقطع الجدل ، وتسقط المعذرة ، فهو بذاته واضح واضح ، لا يجيد عنه إلا ذو هوى يتبع هواه ، ولا يكذب به إلا متجنن يظلم نفسه ، ويظلم الحق البين ، ولا يستحق هدى الله ، ولقد انقطع عذرهم بوصول الحق إليهم ، وعرضه عليهم ، فلم يعد لهم من حجة ولا دليل » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - استشعار نعمة الله علينا بإرساله أنبياء يهدون الناس إلى سبيل الرشاد .

٢ - أن يتحل المسلم بفضيلة الصبر في كل أحواله ومواقفه .

٣ - الحذر من اتباع الهوى وضلالات النفس .

٤ - أن يستلهم المؤمن العظات والعبر من القرآن دائما .



هؤلاء الذين أسلموا لله من قبل ثم صدقوا بالقرآن بمجرد سماعه يؤتون أجرهم مرتين بفضل صبرهم على الإسلام ، إسلام القلب والوجه ، ومغالبة الهوى والشهوة ، وأعسر الصبر ما كان على الهوى والشهوة والالتواء والانحراف ، وهؤلاء صبوا عليها جميعا ، وصبروا على السخرية والإيذاء ، وكما يقع دائما للمستقيمين على دينهم في المجتمعات المنحرفة الضالة الجاهلة في كل زمان ومكان .

ثم زاد هؤلاء درجة فوق الصبر ، وهي الاستعلاء على كبرياء النفس وحب الانتقام وهي درجة الساحة الراضية ، وهي رد القبيح بالجميل وتقابل الجاهل الساخر بالطمأنينة والهدوء وبالرحمة والإحسان ، وهو أفق من العظمة لا يبلغه إلا المؤمنون الذين يعاملون الله فيرضاهم ويرضونه ، فيلقون ما يلقون من الناس راضين مطمئنين .

ويذكر السياق ساحة نفوسهم بالمال ، عقب ذكره لساحة نفوسهم بالإحسان ، وهما من منبع واحد : منبع الاستعلاء على شهوة النفس ، والاعتزاز بما هو أكبر من قيم الأرض ، الأولى في النفس ، والثانية في المال ، وكثيرا ما يردان متلازمين فلا القرآن .

وصفة أخرى من صفة النفوس المؤمنة الصابرة على الإسلام الخالصة للعقيدة ، فهي قلوب مؤمنة لا تغلو ذلك اللغو ، ولا تستمع إلى ذلك الهذر ، ولا تعنى بهذا البذاء ، ولا يدخلون مع أهل اللغو في جدل حوله ، لأن الجدل مع أهل اللغو لغو ، إنما يشركونهم في موادة وسلام ، هكذا في أدب ، وفي دعاء بالخير ، وفي رغبة في الهداية مع عدم الرغبة في المشاركة .

يقول صاحب الظلال : « إنها صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها تفيض بالترفع عن اللغو ، كما تفيض بالساحة والود ، وترسم لمن يريد أن يتأدب بأدب الله طريقه واضحا لا لبس فيه ، فلا مشاركة للجهال ، ولا مخاصمة لهم ، ولا موجدة عليهم ، ولا ضيق بهم ، إنما هو الترفع والساحة وحب الخير حتى للجارم المسيء » .

ثم تلفت الآيات الانتباه إلى دور الداعين ، ودورهم هو النصيحة ، والقلوب بعد ذلك بين أصابع الرحمن ، والهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب العباد ، واستعدادهم للهدى والضلال ، وهذا مما يخفف العبء على الدعاة فإن إبلاغ الدعوة هو مهمتهم والهداية تكون من الله ، وأبو طالب عم الرسول ﷺ لم يسلم رغم استمرار دعوة الرسول له .

ويأتى السياق إلى قولتهم التي قالوها معتذرين عن أتباعه مخافة أن يفقدوا سلطانهم على قبائل العرب المجاورة ، التي تعظم الكعبة ، وتدين لسدنتها ، وتعظم أصنامها ، فتتخطفهم تلك القبائل ، أو يتخطفهم أعداؤهم من وراء شبه الجزيرة دون أن تساندتهم هذه القبائل ، فبين لهم أين يكون الأمن ، وأين يكون الخوف من واقعهم التاريخي ، ومن حاضرهم الذي يشهدونه .

يقول صاحب الظلال : « إنها النظرة السطحية القريبة ، والتصوير الأرضي المحدود ، وهو الذى أوحى لقريش ، وهو الذى يوحى للناس أن أتباع هدى الله يعرضهم للمخافة ، ويفرغ بهم الأعداء ، ويفقدهم العون والنصير ، ويعود عليهم بالفقر والبوار » .

فهم لا ينكرون أنه الهدى ، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس ، وهم ينسون الله ، وينسون أنه وحده الحافظ ، وأنه وحده الحامى ، وأن قوى الأرض كلها لا تمكك أن تتخطفهم وهم فى حى الله ، وأن قوى الأرض كلها لا تمكك أن تنصرهم إذ خذلمهم الله ، ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم ، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى ، تقديرهم للأمور ، أن الأمن لا يكون إلا فى جوار الله ، وأن الخوف لا يكون إلا فى البعد عن هداة ، وأن هذا الهدى موصول بالقوة موصول بالعزة .

وما حدث قط فى تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدى الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة ففى نهاية المطاف ، بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة ، أمانة الخلافة فى الأرض وتصريف الحياة .

وتوجه الآيات النظر إلى الاعتبار من هلاك الأمم ، فالأمم التى آمنت واستقامت كتب لها النصر والتمكين ، والأمم التى كذبت وجحدت نعمة ربها أهلكتها الله بعذاب من عند الله ، وختل بيوتهم من ساكنيها ، وفى ذلك خطاب لمن يخاف من الفرد والإخراج من الأرض إن آمن . إن بظر النعمة ، وعدم الشكر عليها هو سبب هلاك القرى ، وقد أوتوا من نعمة الله ذلك الحرم الآمن ، فليحذروا إذن أن يبطروا ، وألا يشكروا ، فيحل بهم الهلاك كما حل بالقوى التى يرونها ويعرفونها ، ويرون مساكن أهلها الدائرين خاوية ، لم تسكن من يعدهم إلا قليلا ، ويقبت شاخصة تتحدث عن مصارع أهلها ، وتروى قصة البطر بالنعمة ، وقد فنى أهلها فلم يعقبوا أحداً ، ولم يرثها بعدهم أحد .

وهنا يظهر العدل الإلهى فى أن الله عز وجل لم يهلك أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسول إليهم ، ويأتى هذا الإهلاك بعد تكذيبهم وإعراضهم ، وهذا يقتضى من المؤمن أن يسرع فى طريق الدعاة ، وليواصل مهمة الرسل والأنبياء ولا يتسرع فى الحكم على الناس بل يتروى ، ويثبت قبل إصدار الحكم على المدعويين .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبويًا :

- ١ - التحلى بمحاسن الأخلاق من الصبر ، والعفو .
- ٢ - البعد عن أماكن اللهو وتجنب السفهاء وعدم الخوض مع ضلالتهم .
- ٣ - الثقة فى نصر الله للمؤمنين ، وبث هذه الثقة فى المؤمنين .
- ٤ - الاعتبار والاتعاظ من هلاك الأمم السابقة .

## معاني الكلمات :

حق عليهم القول: وجب عليهم العذاب .

أغويناهم : ضللناهم .

عميت عليهم الأنبياء : خفيت عليهم

الإجابة .

الخير : الاختيار

ما تكن : ما تخفى .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة ثواب الله للمؤمنين .
- ٢ - أن يعلم المؤمن بعض مشاهد يوم القيامة .
- ٣ - أن يبادر المؤمن بالتوبة لله عز وجل .

## المحتوى التربوي :

تسوق الآيات إقناع الكفار بعدم الاغترار بالحياة الدنيا ، وأن ما في الأرض كله إن هو إلا شئ زهيد إذا قيس بها عند الله ، وهذا هو التقويم الأخير ، لا لما يحشون فوته من الأمن والأرض والمتاع وحده ، ولا لما يمن به الله عليهم من التمكين والشهارة والأمان وحده ، ولا لما وهبه الله للقرى ثم أهلكتها بالتبطل فيه وحده ، إنها هو التقويم الأخير لكل ما في هذه الحياة الدنيا حتى لو ساع ، وحتى لو كمل ، وحتى لو دام ، فلم يعقبه الهلاك والدمار ، إنه كله متاع هذه الحياة وزينتها ، والذي عند الله خير وأبقى خيراً في طبيعته وأبقى في مدته ، والمفاضلة بين هذا وذاك تحتاج إلى عقل يدرك طبيعة هذا وذاك ، ومن ثم يجيء التعقيب في هذه الصيغة للتنبيه لإعمال العقل في الاختيار .

وتوضح الآيات أن الثقة يوعده الله من أعلى درجات الإيمان ، أما الجاحد والمنكر لوعده الله ينتظره عذاب أليم ، والثقة بهذا الوعد تستلزم الصبر وتحمل التكاليف الربانية وإقامة الشعائر ، والجهد في سبيله .

يقول صاحب الظلال : « وفي نهاية هذه الجولة يعرض عليهم صفحتي الدنيا والآخرة ، ولمن شاء أن يختار .. فهذه صفحة من وعده الله وعدًا حسنًا فوجده في الآخرة حقا وهو لا بد لاقية ، وهذه صفحة من نال متاع الدنيا القصير الزهيد، ثم ها هو ذا في الآخرة محضر إحضارًا للحساب، والتعبير يوحى بالإكراه ﴿ مِنْ الْمُحْضَرِّينَ ﴾ الذين يجاء بهم مكرهين خائفين يودون أن لم يكونوا محضرين ، لما ينتظرهم من وراء الحساب على ذلك المتاع القصير الزهيد .

وتلك نهاية المطاف في الرد على مقاتلهم : ﴿ إِنْ تَتَّبِعْ أَهْدَىٰ آهْدِي مَعَكَ تُنْقِطُ مِنْ أَزْحَمَ ﴾ فحتى لو كان ذلك كذلك فو خير من أن يكونوا في الآخرة من المحضرين ، فكيف واتباع هدى الله معه الأمن في الدنيا والتمكين ، ومعه العطاء في الآخرة والأمان ؟ ألا إنه لا يترك هدى الله إذن إلا الغافلون الذين لا يدركون حقيقة القوى في هذا الكون ولا يعرفون أين تكون المخافة ، وأين يكون الأمن ، وإلا الخاسرون الذين لا يحسنون الاختيار ولأنفسهم ولا يتقون البوار .

ثم تسوق الآيات مشهد الكفار يوم القيامة ، والتوبيخ لهم باتخاذهم معبوداً من دون الله ، والله يعلم ألا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء ، وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً ، ولا يستطيعون إليهم سبيلاً ، ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد .

ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال ، فليس المقصود به هو الجواب ، إنما يحاولون أن يتبرأوا من جريرة إغوائهم لمن وراءهم ، وصددهم عن هدى الله ، ولا يتعللون إلا باتباعهم لرؤوس الكفران أنهم أقروا بأنهم لم يعقلوا في اتباعهم الهوى والكفر ورؤوس الكفر ، ويتبرأ رؤوس الكفر من التابعين لهم ، ربنا إننا لم نفهم قسراً ، فما كان لنا سلطان على قلوبهم ، إنما هم وقعوا في الغواية عن رضی منهم واختيار ، كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار ، ويتبرؤون من جريمة إغوائهم ، إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقا من خلقك ، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ، ولم يتوجهوا إلينا نحن بالعبادة ، ويقال لهم ادعوا شركاءكم ولا تهربوا عن سيرتهم ، ادعوهم لينقذوكم ، ومن إذلالهم عدم الاستجابة ، والعذاب مائل أمامهم وهكذا لا ينفع في هذا اليوم إلا من صدق مع الله وأحسن الظن بالله ، ووثق بوعد الله .

وهنا تظهر صورتان متقابلتان ، صورة الكفار في صورة الذل والهوان يوم القيامة ، وقد أجبروا أن ينادوا آهتهم المزعومة لتنجدهم وأريد بذلك إعانتهم وإذلالهم ، ثم يسألهم الله كيف

كانت إجابتهم المرسلين ، والله يعلم وهو تقرير لفداحة ذنوبهم ، ثم كان الجزاء الأليم جزاء الصد والاستكبار .

ثم تأتي صورة مقابلة لمن تاب من اتباع الكافرين ، وعمل صالحًا ، واتبع طريق الله ، وبعد عن طريق الصلف والصد والاستكبار فهو من المفلحين الناجين ، وفي ذلك رحمة من الله بعباده .

ثم تأتي الآيات بالحقيقة التي لو تذكرها الخلق دائما لاستقامة الحياة ، وهي حقيقة أن الله يخلق ما يشاء ، وليس لأحد من خلقه أن يبدل أو يغير .

ويقول صاحب الظلال في ذلك : « إنها الحقيقة التي كثيرا ما ينساها الناس أو ينسون بعض جوانبها ، إن الله يخلق ما يشاء ، لا يملك أحد أن يقترح عليه شيئا ، ولا أن يزيد أو ينقص في خلقه شيئا ، ولا أن يعدل أو يبدل في خلقه شيئا ، وإنه هو الذي يختار من خلقه ما يشاء ومن يشاء لمن يريد من الوظائف والأعمال والتكاليف والمقامات ، ولا يملك أحد أن يقترح عليه شخصا ولا حادثا ولا حركة ولا قوة ، ولا فعلا .

هذه الحقيقة لو استقرت في الأخلاق والضائر لما سخط الناس شيئا يحل بهم ، ولا استخفهم شيء ينالونه بأيديهم ، ولا أحزنهم شيء يفوتهم أو يفلت منهم ، فليسوا هم الذين يختارون ، إنما الله هو الذي يختار ، وليس معنى هذا أن يلغوا عقولهم ونشاطهم ، ولكن معناه أن يتقبلوا ما يقع ، بعد أن يبذلوا ما في وسعهم من التفكير والتدبير والاختيار بالرضا والتسليم والقبول ، فإن عليهم ما في وسعهم ، والأمر بعد ذلك لله .»

وتأتي الآيات إلى التذكير بقيمة العبودية والاستسلام لله والخضوع له ، وبالإيمان بأن كل ما في الوجود لله عز وجل فلا شريك له في خلق ولا اختيار ، ويعقب الاستسلام لله والانقياد له مقتضى العبودية لله وهو حمد الله على نعمه وآلائه ، وهو يقضى بين عباده لا راد له ولا مبدل لحكمه ، وإليه البعث والرجوع فيقضى بين عباده قضاءه الأخير ، في هذا كله إقامة حجة جديدة على وجوب الدخول في الإسلام ، وترك المغلات المبعدة من الدخول فيه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - الثقة بوعده الله عز وجل ، وأن يخلص المسلم في العبادة لله .
- ٢ - بث الأمل في نفوس الناس بأن باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوب العبد .
- ٣ - استحضار موقف يوم القيامة ، وموقف الكفار وموقف المؤمنين .

معاني الكلمات :

سرمداً : دائماً .

لتسكنوا : لتستريحوا .

لتنفخوا من فضله : لتطلبوا الرزق .

برهانكم : حججكم .

بنى عليهم : تكبر عليهم .

لتنوء : تميل .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١- أن يشعر المؤمن بقيمة الوسطية والاعتدال .

٢- أن يعلم المؤمن سبب إهلاك قارون .

٣- أن يستعمل المسلم المال ونعم الله الأخرى ؛ لما فيه صلاحه واستقامته .

المحتوى التربوي :

تأتى الآيات بالظواهر الكونية الماثلة أمام أعين الكافرين لتقيم الحجة عليهم ، وتبث فيهم قيمة التفكير والاعتبار فى الكون ؛ لأن الناس لطول ما اعتادوا من كر الجديدين ينسون حداثتها المتكررة التى لا تبلى .

ويقول صاحب الظلال : « والقرآن الكريم يوقظهم من همود الإلف والعادة ، ويلفتهم إلى تلى الكون من حولهم ومشاهده العظيمة وذلك حين يحيل إليهم استمرار الليل أبداً أو النهار أبداً وحين يخيفهم من عواقب هذا وذاك ، وما يشعر الإنسان بقيمة الشيء إلا حين يفقده أو يخاف عليه الفقدان . »

يظهر قبح الكفر فيمن يعيش في نعم الله ، ويتقلب في رحمته فخلق له الليل نسكن فيه ونستريح من مشقة العمل، وخلق له النهار ليكتسب فيه الرزق ، وهذا يقتضى من العبد أن يشكر نعمة الله علينا باللسان والجوارح .

وتسوق الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، وهو مشهد النداء ، وما فيه من سؤال عن الشركاء وتأنيب وتوبيخ الكافرين الذين تغافلوا عن نعم الله في الكون ، وفق هذا المشهد العدل الإلهي بإقرار الكافرين بذنوبهم وآثامهم .

وتصوير يوم النداء ، وما فيه من سؤال عن الشركاء ، يعاد هنا لتوكيده ، وتشبيته على مشهد نزع شهيد من كل أمة ، وهو نبيا الذي يشهد بها أجبته ، وما استقبلت به رسالته ، والنزع حركة شديدة ، والمقصود إقامته وإبرازه وإفراذه من بينهم ليشهده قومه جميعا ، وليشهد قومه جميعا ، وفي مواجهة هذا الشاهد يطلب منهم برهانهم على ما اعتقدوا وما فعلوا ، وليس لديهم برهان ، ولا سبيل لهم يومئذ إلى المكابرة ، فقد علموا أن الحق كله لله خالصا لا شبهة فيه ولا ريبه ، وضل الشرك والشركاء وما كانوا يفترون ، فما هو بواجدهم ، وما هم بواجديه في وقت حاجتهم إليهم .

ثم تأتي قصة أخرى هي قصة قارون وهى تعرض سلطان المال والعلم ، وكيف ينتهى بالبورار مع البغى والبطر ، والاستكبار على الخلق ، وجحود نعمة الخالق ، وتقرر حقيقة القيم ، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيثار والصلاح ، مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو ولا فساد .

قال صاحب الأساس : « وهكذا أقام الله الحجة على توحيده وكمال علمه وكمال حكمته وكمال إنعامه وأن يجب له الحمد والشكر ، وأن له الحكم وفي ذلك حجة جديدة على من لم يهتد أو يضع التعلات للفرار من الإسلام » .

قصة قارون هي نموذج لتوضيح دور المال في الحياة ، فطغاة المال عندما يؤتون المال يظلمون به الناس ، ويبغون عليهم بحرمان الأجراء من أجرهم ، وحرمان الفقراء من حقهم ويستأثرون بهذا المال ، ويدفعهم هذا إلى سلوك كل ذريعة للمحافظة عليه من احتكار وغصب ، والمفاخرة مما يكسر قلوب الفقراء .

لقد كان قارون من قوم موسى ، فاتاه الله مالا كثيرا ، يصور كثرته بأنه كنوز - والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول - وبأن مفاتيح هذه الكنوز تعين المجموعة من أقوىاء الرجال ، ومن أجل هذا بغى قارون على قومه ، ولا يذكر فيم البغى ؛ ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور ، فربما عليهم بظلمهم وغصبهم وأرضهم - كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان - وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال ، حق الفقراء في أموال

الأغنياء ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم معاويج إلى شىء منه ، فتفسد القلوب ، وتفسد الحياة ، وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب .

لكن فى كل وقت يظهر فيه فساد أو انحراف لا بد أن توجد فئة تنبه الظالم ، وتوجه إليه كلمة الحق لترده عن هذا البغى ، وتوجهه إلى النهج القويم للتصرف فى هذا الثراء ، وهو نهج لا يجرم الأثرياء ثراءهم ، ولا يجرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال ، ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال ، وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذى أنعم عليهم ، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب .

ويأتى النص القرآنى ليعرض الوسطية والاعتدال فى المنهج الإلهى القويم المنهج الذى يعلق قلب صاحب المال بالآخرة ولا يجرمه أن يأخذ بقسط من المتاع فى هذه الحياة ، بل يحضه على هذا ، ويكلفه إياه تكليفاً ، كى لا يتزهّد الزهد الذى يهمل الحياة ويضعفها .

يقول صاحب الظلال : « لقد خلق الله طبيبات الحياة ؛ ليتمتع بها الناس ، وليعملوا فى الأرض لتوقيرها وتحصيلها ، فتنمو الحياة وتتجدد ، وتحقق علاقة الإنسان فى هذه الأرض ذلك على أن تكون وجهتهم فى هذا المتاع هى الآخرة ، فلا ينحرفون عن طريقها ، ولا يشغلون بالمتاع من تكاليفها ، والمتاع فى هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعّم » .

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق فى حياة الإنسان ، ويمكنه من الارتقاء الروحى الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة ، التى لا حرمان فيها ، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة .

وهذا المال هبة من الله وإحسان ، فليقابل بالإحسان فيه ، إحسان التقبل ، وإحسان التصرف ، والإحسان به إلى اخلق وإحسان الشعور بالنعمة ، وإحسان الشكران .

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الفساد بالبغى والظلم ، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة ، والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء ، والفساد بإنفاق المال فى غير وجهه ، أو إمساكه عن وجهه على كل حال ، والله لا يحب المفسدين كما أن لا يجب الفرحين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

١ - التفكير والاعتبار فى نعم الله عز وجل فى الكون ، وشكر الله باللسان والجوارح .

٢ - أن يديم المسلم تذكّر مواقف يوم القيامة .

٣ - معرفة دور المال فى الحياة وعدم الوقوع فى فتنه .

٤ - مدارس سير الناجين ، وسير الهالكين كى يصل المؤمن لعفو الله ورضوانه .

## معاني الكلمات :

زيتته : ترفه .

خسفنا به وبداره الأرض : جعلنا الأرض

تغور به وبكنوزه .

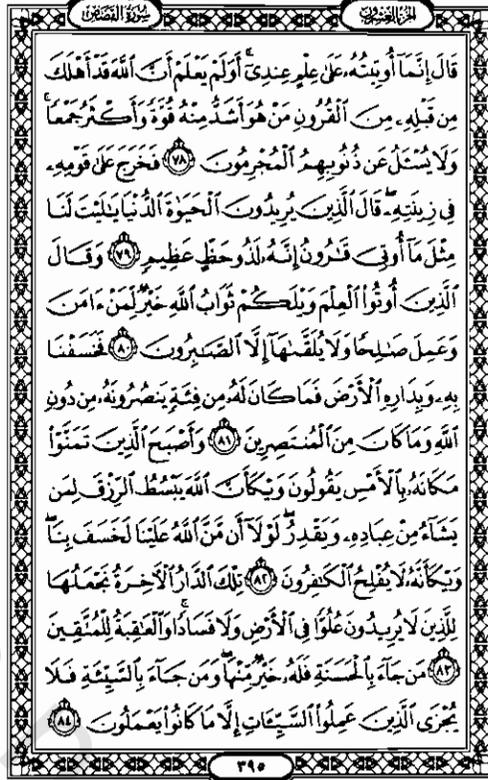
فئة : جماعة معينة .

ويكأن الله : صيغة تعجب .

يسبط الرزق : يوسعه .

من الله علينا : تفضل علينا .

علوا : تكبرا وطفينا .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بقله متاع الدنيا أمام ثواب الله .

٢ - أن يعرف نهاية قصة قارون .

٣ - أن يقوم المؤمن بدوره في مجتمعه بالنصح للعصاة والضالين .

## المحتوى التربوي :

تعرض قضية الكفر بالنعمة بنموذج يتكرر في البشرية ، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما سبب غناه ، ومن ثم فهو غير مسؤول عما يفتق ، غير محاسب على ما يفسد بالمال وما يصلح ، غير حاسب لله حسابا ، ولا ناظر إلى غضبه ورضاه وهكذا قال قارون : إنها أوتيت هذا المال استحقاقا على علمي الذي طوع لي جمعه وتحصيله ، فما لكم تملون على طريقة خاصة في التصرف فيه ، وتتحكمون في ملكيتي الخاصة ، وأنا إنما حصلت هذا المال بجهدى الخاص ، واستحقاقته بعملى الخاص ؟

إنها قولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال، ويعميه الثراء، وهو نموذج مكرر في البشرية .

والإسلام في تعامله مع المال كما يقول صاحب الظلال : « يعترف بالملكية الفردية ، ويقدر الجهد الفردى الذى بذل في تحصيلها من وجوه الحلال التى يشرعها ، ولا يهون من شأن الجهد الفردى أو يلغيه ، ولكنه في الوقت ذاته يفرض منهاجاً معيناً للتصرف في الملكية الفردية - كما يفرض منهاجاً لتحصيلها وتنميتها - وهو منهاج متوازن متعادل ، لا يحرم الفرد ثمرة جهده ، ولا يطلق يده في الاستمتاع به حتى الترف ولا في إمساكه حتى التقدير ، ويفرض للجماعة حقوقها في هذا المال ، ورقابتها على طرق تحصيله ، وطرق تنميته وطرق إنفاقه والاستمتاع به ، وهو منهاج خاص واضح الملامح متميز السمات » .

ولكن قارون لم يستمع لنداء فومه ، ولم يشعر بنعمة ربه ، ولم يخضع لمنهجه القويم ، وأعرض عن هذا كله في استكبار لثيم وفي بطر ذميم ، ومن ثم جاء التهديد قبل تمام الآية ، رداً على قوله الفاجرة المغرورة ، فإن كان ذا قوه وذا مال ، فقد أهلك الله من قبله أجيالاً كانت أشد منه قوة وأكثر مالا ، وكان عليه أن يعلم هذا ، فهذا هو العلم المنجى ، فليعلم ، وليعلم أنه هو وأمثاله من المجرمين أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم ، فليسوا هم الحكم ولا الأشهاد .

ثم تتابع الآيات بذكر مشهد آخر يعرض اختلاف موازين الناس في القيم ، فالمحبون للدنيا تستهويهم زينة المال ، ويعجبون به دون البحث عن مصادره ، أما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيم الحياة ، وفي نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع ، وهم أعلى نفساً ، وأكبر قلباً من أن يتهاوا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعاً ولهم من استعلائهم بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد ، وهؤلاء هم الذين أتوا العلم الصحيح الذى يقومون به الحياة حق التقييم ، ويعرفون أن ثواب الله خير من هذه الزينة ، والشعور على هذا النحو درجة رفيعة لا يلقاها إلا الصابرون .

تظهر الآيات قيمة المؤمنين ودورهم بأنهم ليسوا مكتوفى الأيدي قابعين في صوامعهم ، بل يخرجون وينهون الناس ، ويحذرونهم دونهم من الاعتراض بالقيم الفاسدة ، بل إن ثواب الله خير من هذه الزينة ، والشعور على هذا النحو درجة رفيعة لا يلقاها إلا الصابرون ، الصابرون على معايير الناس ومقاييسهم ، الصابرون على فتنة الحياة وإغرائها .

ثم تمضى الآيات لتظهر يد القدرة وهى تضع حداً للفتنة ، وتحطم الغرور والكبرياء بأن خسف بقارون وبداره فابتلعتهم الأرض ، ولم ينفع الكفار والظالمين قوتهم .

وفي هذا الوقت يرى الناس المقاييس الحقيقية ، ويعلمون أن الثراء ليس آية على رضا الله ، فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده ، ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضا والغضب .

وفي لمحة خاطفة ابتلعت داره ، وهوى قارون في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاء وفاقا ، وذهب ضعيفا عاجزا ، لا ينصره أحد ، ولا ينتصر بجاه أو مال ، وهوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض الناس ، وردتهم الضربة إلى الله ، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال .

من هنا يلمح المؤمن أن الرضا بقضاء الله هو سبيل الفلاح ، فطريق النار مُعَبَّد بالشهوات وزخارف الدنيا ، فقد يعيش المسلم معدما ، ولكن الله قدر ذلك ليكون مكرما في الحياة الدنيا؛ لأن الله جعل الآخرة للمؤمنين الذين لا يريدون علوا ولا فسادا ، الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشياؤها وأعراضها وقيمها وموازينها حسابا . ويختتم هذا المشهد ببيان القضاء الإلهي وما فيه من عدل وفضل ، فيظهر تفضل الله جل شأنه على عباده بأن من عمل الحسنة فتوابه عظيم أكبر من جزاء الحسنة وأن الله بعدله يحاسب من اقترفوا السيئات بأعمالهم .

يقول صاحب الظلال : « تلك الآخرة التي تحدث عنها الذين أوتوا العلم . العلم الحق الذي يقوم الأشياء قيمتها الحقيقية ، تلك الدار الآخرة الرتبة البعيدة الآفاق ، تلك الدار الآخرة ﴿ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ فلا يقوم في نفوسهم خاطر الاستعلاء بأنفسهم لأنفسهم ، ولا يهجم في قلوبهم الاعتزاز بذواتهم والاعتزاز بأشخاصهم وما يتعلق بها ، إنما يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملاها الشعور بالله ، ومنهجه في الحياة ، أولئك الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشياؤها وأعراضها وقيمها وموازينها حساباً ، ولا يبغون فيها كذلك ، أولئك هم الذين جعل الله لهم الدار الآخرة ، تلك الدار العالية السامية . »

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يخشون الله ، ويراقبونه ويتحرجون من غضبه وبيتغون رضاه ، وفي تلك الدار الآخرة يقع الجزاء كما كتب الله على نفسه ، الحسنة بأضعافها وبها هو خير منها ، والسيئة يمثلها رحمة بضعف الخلق وتيسرا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الحذر من الغرور والاستكبار ، ووجوب تواضع الإنسان لله .

٢ - ضرورة تقديم النصيحة لمن يحتاج إليها في رفق وهدوء قبل أن يقع في الخطأ ولا يستطيع النجاة .

٣ - الإيثار بأن الرزق مقدر من الله ، وأن الله يبسطه لحكمة ، ويمسكه لحكمة .

معانى الكلمات :

فرض عليك : أى أنزل إليك القرآن .

لرادك إلى معاد : المقصود إلى مكة .

ظهيرا : معنا .

يصدك : يمنعك .

له الحكم : القضاء النافذ .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بالثقة في نصر الله .

٢ - أن يعلم المسلم صفة طريق الإيثار

الله .

٣ - أن يصبر المؤمن على كل بلاء

وشدة .



المحتوى التربوي :

تمضى الآيات لتقرر أن وعد الله قائم لكل السالكين في الطريق ، وإنه ما من أحد يؤذى في سبيل الله ، فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية ، فقد خرج الرسول من مكة وهى أعز وأحب بلاد الله إليه ووطن صباه ، فجاء الخطاب بالقسم بأن الذى فرض عليه القرآن سينصره في الموعد الذى قدره ، وهذا الأمر له شاهد فقد رد الله موسى من قبل إلى الأرض التى خرج منها هاربا مطارداً ، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه ، وكانت العاقبة للمتقين .

ويقول صاحب الظلال : « وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف والكرب ليمضى ﷺ في طريقه آمناً واثقاً ، مطمئناً إلى وعد الله الذى يعلم صدقه ، ولا يستريب لحظة فيه » .

ثم تمضى الآيات في تبيان أن الرسالة نزلت رحمة للرسول وهو لم يتطلع إليها ، وترسم الآيات بعد ذلك الطريق للرسول والدعاة ، فهى رحمة إذن بالرغم من التكاليف الشاقة والمهام الجمة العميرة التى يواجهها هؤلاء الدعاة ، فلا بد من جعل دعوتهم بيضاء بأن تبعد عن طريق الكفار ، أهل الزيغ والضلال بأن تكون دعوة خالصة لا لبس فيها ولا غموض دعوة إلى الله لا لمصلحة ولا لهوى ، بل يجب التسليم لله لتفرده عز وجل - بالألوهية والبقاء والحكم والقضاء ، ليمضى أصحاب الدعوات في طريقهم على هدى و يقين .